١ مقـــدمـة

تفقد الصحافة قيمتها حينما لا تحكى ما يحدث بوضوح ، ذلك لأنها جزء من المجتمع تخضع إلى الجو العام وفى الوسط الذى تنشأ فيه ، فإذا كان المجتمع يواجه تناقضات حادة وصراعات وأزمات اقتصادية ويشهد الشارع حوادث عنف تجىء نتيجة التوتر والخوف ، وتتجاهل الصحافة ذلك ولا تصوره بصدق ، فإنها تصبح صحافة غير واضحة الرؤية تعجز على تصوير مجتمعها ومن الطبيعى أن تفقد مصداقيتها ... .

ولا عجب ، إذا وقف القارىء وقال : إنها مجرد : كلام جرايد !

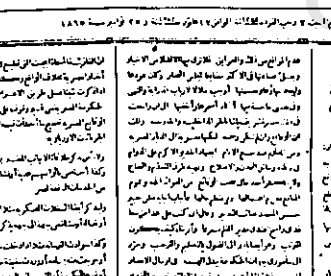
حوادث داخلية

من هو الصحفى ؟ وما هى مواصفاته ؟ وكيف تظهر الصحف ؟ ، ذلك هو مضمون الكتاب !

ونتساءل من هو صحفى المستقبل ؟ لو بدأنا بطرح هذا السؤال على كتاب للخيال العلمى وعلماء المستقبليات أو الصحفيين أو الفلاسفة فإنه يبدو من المحتمل أن يكون الرد يحمل أكثر من رؤية ، بل ويجىء وكأنه رد من أحد المنجمين !!

مثلاً : إن كتّاب الخيال العلمى يقدمون بتعميق وتوسيع إحساسنا حول المستقبل والتغيير ، وهذا يذكرنا حينما ألف « **ألفين توفلر** » مؤلفه المعروف **صدمة المستقبل** ، وصف الخيال العلمى بأنه علم اجتماع المستقبل ، **إنه قوة لتوسيع حدود ومط** العقل » لخلق عادة التوقع .

■ ويقول علماء الخيال العلمى « خيال اليوم هو حقائق الغد » ، وهكذا دائمًا علماء الخيال يتصورون ثم تجىء افكارهم بعد زمن طويل ... مجرد حقائق !

يقول أرفين مينسيكى أحد خبراء الذكاء الصناعى ومعلم هذه المادة : إنها العلم الذى يدرس فى معهد الأعلام فى جامعة ماستوستس التكنولوجية .

إن كتّاب الخيال العلمى يحاولون أن يخمنوا نتائج ودلالات الأشياء بأسلوب عقلانى بقدر الإمكان ، وربما يأتى يوم بعد مائتى عام من الآن يعتبر فيه **إسحق أسيموث ، ووليام جيبسون ، وهم أهم فلاسفة**

القرن العشرين .. فى وقت قد يصبح فيه كل الفلاسفة المحترفين تقريبًا فى طى النسيان .

إن الخيال العلمى يتصور أن الصحفيين القادمين ثلاثة أنماط هم : **الصحفى البشرى** الذى سيعمل مثل من سبقوه من الصحفيين فى القرن العشرين يبحث وينقب ويتعب ويكتب الأخبار ..

أما النمط الثانى فهو **الصحفى غير البشرى** ، وهو إما على هيئة إنسان آلى ، أو حاسب آلى ، أو آلة أخرى ، وسوف يكمل دور يحل مكان الصحفى البشرى .

النمط الثالث هو **القارئ نفسه الذى سوف يقوم باستخدام التكنولوجيا ليصبح هو صحفى نفسه** ، له حجرة بها آلات وشاشات وتليفزيونات وراديوهات وعليه أن يختار من محطات الإذاعات العالمية التى تعمل ٢٤ ساعة فى اليوم ، ما يرضى اهتماماته من أخبار ، أو معلومات ، أو يسجل عن قرب ، أو عن بعد ما يريد أن يسمعه من أخبار ، هذه الحجرة بالتأكيد فى منزله !

لكن تعالوا نتأمل ، إن هناك أكثر من مثل لأنماط إثارة للعمل هو الصحفى البشرى الذى يعمل محترفًا ، إنه كما يقولون سيمثل رجع الصدى المحقق للصحفى الذى يلمع نجمه فى حل ألغاز الجرائم وروايات الجاسوسية والأنواع الأخرى من الكتابة ، وعليه أن يعمل أى شىء للحصول على قصة مثيرة ، صحفى بشرى يجرى ويتحرك ويسأل ، ويتساءل ويحاور ويتحاور .

إن الكثير من أفلام الخيال العلمى تدور حول موضوع **نهاية العالم** » ، وفى هذا نجد الصحفى يقامر بحياته ... لماذا وظيفته تستدعى ذلك ؟

■ **ملحوظة** : فى كتاب « يوم اشتعلت الأرض » عام ١٩٦٢ نجد بينز ستننج محرر الديلى إكسبريس يتصل بمكتبه محققًا السبق الصحفى .. ماذا يقول فى الخبر ؟ « الأرض تنحدر فى اتجاه الشمس » .

إن كتاب الخيال العلمى يفرقون بين مندوب الصحيفة وصحفيى التليفزيون ، ذلك لأن المندوب الصحفى سوف يظل يبحث عن الحقيقة كما كانوا يفعلون فى الأيام التى أصبحت قديمة من القرن العشرين ، وصحفى التليفزيون يريد أن يفعل نفس الشىء !

وفى روايات الخيال العلمى يظهر مندوب الصحيفة كنوع من المفارقات التاريخية وهو يميل بطبعه إلى الشك ! لكن صحفى التليفزيون .. يريد أن يسجل بسرعة ما حدث حتى يلحق بالصورة دون الدخول فى التفاصيل ، وهذا يفقده القيمة الصحفية الإخبارية ، لأن الصورة الوقتية لا تصنع خبرًا دقيقًا !

الصحفى المعتاد أيضًا يقوم بدور الراوى الذى يمكن أن يصدق القارئ ، **إن إعداد التقارير عن الحقائق فقط هو عيب عند محققى الصحف !! ، ماذا ، إذن ؟**

■ **مثلاً** : كتاب « ر . أ . ليفرتى » قسم المجلات الصادر فى عام ١٩٨٥ ، نجد أن جون ت . وولى بير الذى ظل يكتب أخبارًا **جريئة شائنة ، ولكنها حقيقية لمدة ٤٠ عامًا فى مجلات يوم الأحد ، لم يعد قادرًا على إيجاد مكان لموضوعاته ، كما أن كتابه واقع اليوم ليس جيدًا بالدرجة الكافية بالنسبة للنيويورك تايمز ، ذلك لأن فى رواياته « روبرت سليفربرج »** لم يحرز أى نجاح لأنه نشرها بعد تسعة أيام من وقوعها ! وسقط الصحفى هو وجورناله !

■ **المعنى واضح** : أى أن الصحيفة لا تغطى أحداثًا أكثر من تسعة أيام من ساعة وقوعها ! .

النظام العالمى الجديد أيضا نجده يجد نفسه فى رواية جورج أورويل ١٩٨٤ والتى نشرت فى عام ١٩٤٩م ، حيث تقوم صحافة الأخ الكبير برصد أو تضليل كل شخص ، وللإبقاء على الجنس البشرى حبيسًا فى السراديب خزانات تحت الأرض « فإن صفوة العالم الحاكمة فى رواية فيليب . ك . ديك » « الحقيقة قبل الأخيرة » الصادرة فى عام ١٩٦٤ ، تقوم بنشر أكاذيب محضة فى كل تقرير إخبارى ، وكل تقرير يصف معارك نووية وهمية لا تنتهى أبدًا من على سطح الأرض .. وحكايات من الخيال ترضى الناس وتخيفهم فى نفس الوقت !

■ **ويجىء السؤال هل الصحافة .. ضد خصوصيات البشر ، نحن نتساءل ؟**

إن الخيال العلمى دائمًا يتحدث عن تحريض مخبرى وصحفيى التليفزيون ضد خصوصيات البشر ، فنرى الكاميرات تحوم فوق المشاجرات التى تجرى فى الشوارع ، ونرى المراهقين وهم يتقاتلون على الشاشة لإمتاع المشاهدين عجبًا تعمل الشاشة من أجل شد انتباه الناس !

■ **ملحوظة** : ورد ذلك فى رواية بروس ستريسنج ، « الطفل الصناعى » والتى صدرت عام ١٩٨٠ وفى فيلم « ساعة الموت » ١٩٧٩- – حيث يقوم رئيس شبكة إخبارية بزرع كاميرا دقيقة فى رأس المحقق « رودى » حتى يتم بث كل ما يراه للملايين من مشاهدى التليفزيون ، لقد تم قهر المرض تقريبًا ، ولإثارة مشاهدى التليفزيون يقوم رودى بتصوير الأيام الأخيرة لحالة طبية صعبة عن امرأة ، تحدث

بسبب مرض لا علاج له ... !! وفى النهاية يجد نفسه أنه لم يعد صحفيا .. ويقول ويردد ويتندر :

لقد كنت جهاز تحقيق إخبارى هو نفسه جهاز صحفى !

أما النمط الثانى لصحفيى الخيال العلمى ، وهو الآلة التى تقوم بدور الصحفى ففى رواية إسيموث ما قبل التأسيس الصادرة فى عام ١٩٨٨ ، يتحول الصحفى الذى أصابه الملل من تجميع الكلام التاريخى من جميع أنحاء العالم إلى إنسان آلى ، ثم ماذا ؟

■ أداة زمنية تدلى بالحقائق .. كيف ؟

إن الخيال العلمى يتوقع وجود التكنولوجيا التى سوف تمكن صحفى الغد من تجديد تحقيقاته فيما هو أبعد من الزمان والمكان المتاحين الآن ، ففى رواية إسيموث « الماضى الميت » عام ١٩٥٦ يقوم عالم الطبيعة ببناء كرونوسكوب ، أدلة زمنية قادرة على الإدلاء بالحقائق وبامكانه تحديد موقع وإعادة خلق أحداث ، وتعيش خلال الـ٢٥ عامًا الماضية وفى رواية الكاتب البولندى ستاتيسلويم « لكونجرس المستقبلى » تحل الرؤية الطبيعية محل التليفزيون . كيف ... وماذا يحدث ؟ ويقول متهكما ؟

يقفز إلى ركن غرفتك غرباء ، ناهيك عن الأسود والكلاب والمناظر الطبيعية والكواكب كل فى شكله الطبيعى ، وبطريقة لا يمكن تمييزها عن الأصل » .

■ **المهم** : هناك دائما ما يثيره التليفزيون من التساؤلات حول حقيقة ما يقدمه !

■ **مثلاً** : حدث فى كارتون « مواطن من نيويورك » الذى ظهر

عام ١٩٧٠ ، يقوم إليه غارق فى الأمطار بتغيير إطار السيارة الذى انفجر وأثناء ذلك يوجه الحديث لطفليه قائلاً :

- ألا تفهمان .. هذه هى الحياة ، هذا هو ما يحدث !
- إننا لا نستطيع أن نحرك الزر إلى قناة أخرى ، الكل يشاهد .
- ثم ماذا يحدث إذا حرمت أولادك من حجرة التليفزيون ؟
- والكل يستمع ويشاهد !

لقد ركز كتَّاب الخيال العلمى على قدرة التليفزيون والكمبيوتر على تشكيل الحقيقة أو حتى تجنبها ، فقد روى « رأى برادجورى » فى قصته المرج عام ١٩٥٠ ، كيف أن هناك والدين أثارا غضب أطفالهما عندما هددهما بحرمانهما من دخول حجرة التليفزيون ويقوم الأطفال باستخدام غرفة تليفزيون عبارة عن جهاز عملاق يقدم صورًا ثلاثية الأبعاد ويخرج صورًا وروائح وأصواتًا من وحى خيالهم ، ولقد تخيل الأطفال الأسود ... أسدًا ... أسدًا تلتهم والديهم ، لقد قامت **الأسود بذلك بالفعل** ... .

وفى رواية ويليام جيبسون نيرومانس » عام ١٩٨٤ ... وهى الرواية التى بدأت خلالها حركة السبرانطيقا وهى علم الاتصالات الذى نحن بصدده !

لقد فصلوا إنسانًا آليًا يشبه الشباب المتشرد الذين يطلقون عليهم اسم « بالنكس » لدى الريبوتات التى تهيم في الشوارع فى روايات الخيال العلمى ، المعنى أن الشخص يستطيع أن يوصل مخه مباشرة بشبكات الكمبيوتر .

وأن الذكاء الصناعى « وهى مخلوقات من الكمبيوتر البالغ التعقيد تأخذ الشخص فى رحلات عقلية جامحة » . !!

أما فى اتجاهات « السبرانطيقا » علم الاتصالات الحديثة التى تبناها جيبسون وعدد آخر من كتاب الخيال العلمى ، **فإننا نجد النمط الثالث من الصحفيين ، وهو قارئ الأخبار غير الصحفى المهنى والذى سيقوم بدور الصحفى نفسه ، هذا الشخص فى طريقه الآن للوجود ، فكل شخص سيكون هو صحفى نفسه ، يجمع محطات الإذاعة والتليفزيون ، ويخطف ، ما يريد من معلومات .**

فى رواية عودة الجزائر المتصلة ١٩٨١ يقوم المصدر بالتقاط صور للمعمار المستقبلى الذى تم إنشاؤه فى الثلاثينات كنوع من التاريخ البديل « لعام الثمانينات » ، وبالتالى يصبح التاريخ البديل ... .

■ **معمار مستقبلى ثم الفيديو العقلى ؟**

وفى هذا يقال : إن كثيرًا من الناس فى عالم اليوم يعيشون فى الفيديو الفعلى المرسوم من بيئة مكونة من الصور التكنولوجية المحفورة داخل البشر ، وفى هذا أيضا يقول كاتب الخيال العلمى البريطانى . ج .ج . بالورد :

إن المرء على وشك أن يشهد تحول المنزل إلى استديو تليفزيون نقوم كلنا فيه بدور النجم والمخرج وكاتب السيناريو ، وأيضًا بدور الجمهور .. فيلم مستمر .. !! ونحن هنا نقول ماذا يخبىء لنا القرن الواحد والعشرون من مخترعات ... ونتعجب !! **بل أكثر من ذلك نريد مهندس ديكور يعد تأثيث منازلنا !**

* **باختصار .. ما هى محصلة الثلاثة أنماط للصحفيين الذين سيكتبون كتب الخيال العلمى**

ولعل صحفيى المستقبل الحقيقيين أيًّا كان الشكل الذى سيكونون عليه سوف يعرضون ... . بعض سمات صحفيى كتب الخيال العلمى

وسيتعين على الصحفيين الحقيقيين مثل نظرائهم من صناع الحقيقة ، فيمن يقاومون ألاعيب المخترعين الذين سيحاولون طمس الخط الفاصل بين الحقيقة والخيال ، أيضا عليهم ألا يتعاملوا فقط مع الأجهزة المستقبلية ، والتى ستعيد ترتيب عالمهم .

■ **هل هى ثورة معلومات أم رقابة أم تكنولوجيا ، أم ماذا ؟**

إن الخبراء لا يستطيعون أن يتفقوا حول هذه الثورة هل هى ثورة الاتصالات أم ثورة الرقابة أم ثورة المعلومات ، أم ثورة المعلومات والتكنولوجيا ، أم ثورة الكمبيوتر ، أم الثورة العلمية والتكنولوجية أم الثورة الصناعية الثالثة ، أم ثورة الأليكترونيات ، أم ثورة الميكروالكترونيات ، إنهم على يقين من أن العالم ، عالم يعنى الصناعة ، يقوم بتطوير طرق ثورية لبث المعلومات بما فيها المعلومات التى يقوم الصحفيون بجمعها ... !!

■ **ما هى الصورة التى سيكون عليها شكل مستقبل المعلومات ؟**

إن أصدق تعبير هو رؤية فردريك ويليام للقرن الحادى والعشرين الذى قدمها فى كتابه **ثورة الاتصالات** ، إن كان إنسان فى أى مكان على الأرض التى نعيش عليها سوف يكون له جهاز اتصال مركب على معصمه ، يقوم بعمل الاتصالات مع إنسان آخر معه أو فى أى مكان ، هذه الاتصالات تتم عن طريق الأقمار الصناعية .

أيضا إن كل إنسان سيحصل على الأدوات التى تجعله صحفى نفسه .. بصورة عظيمة !! كيف ؟

جهاز التليفزيون ذو المائة قناة بطريقه سيمكن التحدث مع أشخاص عن طريق التليفزيون الموجود لديهم ، أكثر من ذلك سوف يقوم هؤلاء الأشخاص بإجراء المعاملات البنكية والمشتريات وجميع المعلومات ،

أى معلومات يطلبونها وهم فى منازلهم ، سوف يتسلمون البريد الكترونيا ... وستقوم الأقراص الالكترونية فى الأجهزة الموجودة فى المنزل أيضًا بدور مكتبات المراجع ، وسوف تتولى الشبكات الالكترونية عملية اتصال الناس بجمعياتهم ، وكذلك جامعاتهم .

■ **هنا سيتحقق المثل الإنجليزى ، « منزل الإنجليزى هو قلعته »**

وإن معظم التنبؤات تفترض حدوث تلاقى بين تكنولجيات المعلومات المتمثلة فى أجهزة الكمبيوتر والتليفون وغيرهما وهى بالتالى سيبحثون عن جهاز يقوم بكل الاتصالات مرة واحدة .

أيضا .. علماء الألفاظ الذين يخترعون المصطلحات العصرية يعنون هذا التلاقى بتعبير **الاتصال عن بعد** » وهو نظام دمج الكمبيوتر مع تكنولوجيا الاتصالات ونظام موصل المعلومات ويشمل عملية الحساب الآلى والمعلومات بما فيها المضمون الخبرى . ولكى يتم ذلك الاتصال الالكترونى .. حساب آلى بالإضافة للاتصالات ، وحتمية التلاقى تشمل تطبيق **نظام الأرقام على وسائل الإعلام** .

■ **المعنى** : لأن بث الأصوات والصور والبيانات سوف يتم عن طريق نظام كودى ، رقمى مثل إشارات مورس ، لكن أسرع بمليون مرة !

■ الغريب والعادى فى نفس الوقت : أن الخبراء لم يتفقوا على ماذا يمثل تلاقى تكنولوجيا لخدمة الصحافة ، انقسم الخبراء فى معسكرين : واحد متفائل وآخر متشائم ، وذلك فى عدد من المجالات .

■ **المعنى واضح** : القارئ مشارك فى الصحيفة وفى الرأى العام أيضًا ، فى المجال السياسى يبدو أن بعض جوانب جمع المعلومات الصحفية واستطلاعات الرأى العام قد **عفا عليها الزمن** .

لماذا ؟ .. الجديد هو نظام كيوب وهو نظام القنوات التلغرافية فهو يستخدم محليًّا فى كولومبيا بحيث يسمح للمشاهدين أن يضغطوا على زر فى منازلهم ليدلوا بآرائهم أو مشاعرهم تجاه القضايا العامة وطرق نظام العمل باستعمال جهاز **استشعار متبادل** » يتكون من قرصى التليفون تمكن المشاهدين الادلاء بأولويات مشاعرهم وكثافتها أيضًا .

■ **ومن ناحية المجتمع** : إن نظام التليفزيون ذى المائة مفتاح لكل شخص فى الاستديو الذى يحتوى على مساحة الحائط ، سوف يسمح لعدد أكبر من المشاهدين بالحصول على كمية كبيرة من البرامج الإخبارية على مدار الأربع والعشرين ساعة .

المتشائمون يقولون إن الإذاعة المحدودة بإرسال الأخبار بصورة أقل ، سوف يزيد احتمالات التسلية ، لكنها غير جذابة ، وذلك بالنسبة لهؤلاء الذين يستطيعون الحصول عليها .

المتشائمون يخشون على كبار السن والفقراء والأميين عن مدى استفادتهم لإشباع اهتمامات الجماعات العرقية والدينية والاجتماعية والاقتصادية فى تقديم المعرفة المشتركة التى يحصل عليها الجمهور الآن من وسائل الإعلام ؟

أن توقعات **ألفين توفلر** » **حول انعدام جماعية وسائل الإعلام الواردة فى كتاب « الموجة الثالثة »** ، يمكن أن تؤدى إلى تحويل الناس إلى متواكلين جالسين أمام أجهزة التليفزيون والكمبيوتر فى منازلهم لا يبحثون إلا عن اهتماماتهم الخاصة ، ولا يلقون بالاً إلى القضايا العامة ، ويقفون أوقاتا أقل مع جيرانهم ونادرًا ما يرتادون الأماكن العامة ، ويقرر جون روبنسون مدير البحث الاستقصائى فى جامعة ميريلاند ، **إن المجتمع يتجه نحو اليوم الذى سوف يقضى**

فيه الناس عددًا من الساعات متلقين أمام أجهزة التليفزيون والفيديو ، وغيرهما من أجهزة الإعلام أكبر مما يقضونه فى التحادث مع غيرهم من البشر !

قد يكون الخيال العلمى مبالغًا فيما يتعلق بالمستقبل ، ففى رواية **وحدة العناية المركزة** » يخلق جى .ج . بالورد عالمًا تحدث فيه الحياة بما فيها الزواج من خلال التليفزيون دون مقابلات شخصية .

أما بالنسبة للسلطة فقد أعادوا أفكار دزرائيلى كتابه الحكمة الأغريقية « إن المعرفة قوة وهو يقول : إنه كقاعدة عامة فإن الشخص الأكثر نجاحًا هو الذى يملك معلومات أفضل وأكثر .. وما نقوله على الأفراد نقوله على الأمم » ...

المتفائلون يقولون : إن مقولة عالم الإعلام مارشال « ماك كوهان » « القرية الكونية » وغيرها من مقولات علماء المستقبليات عن عصر الاتصالات ، تتوقع بدقة حدوث جنة عالمية تتدفق فيها الأخبار بحرية إلى شعوب كل الأمم ، ويرد المتشائمون إنه من المحتمل بالفعل أنه سوف تستمر بعض القارات ، أو ربما بعض الكواكب فى أن تكون مجرد متلقين بدائيين للاتصالات يعتمدون على الأخبار المنتجة بالخارج بواسطة الشركات متعددة الجنسيات .

يقول كارل نورد ينسترج أستاذ الصحافة الفنلندى : إن العالم لا يتحرك فى اتجاه أن يكون **ولايات متحدة عالمية متجانسة** » ، وهو يؤكد على الرغبة من جانب بعض الأمم غير العربية فى حماية سيادتها وهويتها الثقافية عن طريق الحد من تدفق المعلومات الواردة من وسائل الإعلام الغربية ، وغيرها من الشركات متعددة الجنسيات ، **وخلق نظام إعلامى عالمى جديد .**

الغريب : هذه التسمية يرفضها الصحفيون فى الولايات المتحدة على أساس أنه مسمى جديد للسيطرة الحكومية والرقابة على الصحافة .

إن دلالات عصر الاتصالات بالنسبة للصحفيين غير واضحة فمن اليوم لهم عذرهم فى التساؤل عما إذا كان نظام التقييم الذى سيأتى مع تلاقى التكنولوجيات سوف يؤدى إلى تقادم الصحفيين بحلول القرن الحادى والعشرين منذ أن تنبأ جولوجان فى موضوع كتبه . « واشنطن جور ناليزم ريفيو » عن حياة الصحفى فى القرن الـ ٢١ ...

إن البطل سيعرب عن غيظه قائلاً إننى لا أعلم شيئًا عن مستقبل هذه المهنة ... لقد سمعت منذ بضعة أيام أنهم يعملون على تطوير نظام كمبيوتر جديد يمكنه الكتابة أفضل من المحققين ، ويقولون : إنه يومًا ما سأهب لتغطية إطلاق رصاص وكل ما يجب أن أفعله هو أن أدون بعض الملاحظات ، وسوف يقوم الكمبيوتر بكتابة الموضوع ، إننى سوف أصبح مساعد صحفى للكمبيوتر .

الخبراء يؤيدون هذه المخاوف حيث يوضح « جميس بينجير » أستاذ الاتصالات فى جامعة كاليفورنيا كتابه « ثورة الرقابة » إن نظام الترقيم سيجعل الاتصالات بين الناس والآلات سهلة جدًّا مثلما التفاهم البشرى ..

هم أكثر شططًا إذ يقولون لربما جاء اليوم الذى يمكن فيه تخزين ومعالجة الطعم والألوان وأيضًا ربما الأحاسيس بنفس الطريقة على النظام الرقمى ، وكما يقول سيتورات براند فى كتابه « معمل الاتصالات » : اختراع المستقبل ، سيقوم الناس بتوجيه تساؤلات والرد على أخرى من نوعية :

كيف يمكننا ربط نظامنا العصبى بالكمبيوتر الكونى ؟

ومن المتوقع أن يظل الصحفيون الآدميون يلعبون دورًا هامًّا ، يقول :

لا شىء يمكن أن يحل محل التجربة من مصادرها الأولية ،

ولكن ما زال البعض يقيدون خيالهم العلمى بقيود الماضى !!

المهم : الرؤية لصحفى الغد لدى كثير من أعضاء هيئة الصحافة قد تميل إلى أنه تكون متحفظة إذ أنهم يستعيدون ذكرى الدراسة التى أجرتها شركة مرسيدس عام ١٩٠٠ ، والتى توقعت ألا يتجاوز حجم الطلب العالمى على السيارات رقم المليون وذلك استنادًا إلى نقص المتاح من السائقين .

ويقدم جوارا وولى ، وهو رئيس إحدى المؤسسات العاملة فى مجال التكنولوجيا المتقدمة رؤية جريئة إلى مستقبل الصحافة ويشاركه فى الرأى مايك جريتلى وهو صحفى وخبير تسويق .

لقد أجرى جرتلى تجربة : **إجراء مؤتمر بواسطة الكمبيوتر** والتى يطلقون عليها تعبير **صحافة الكترونية غير جذابة** » على مؤتمر للحزب الديمقراطى عام ١٩٨٤ .

وقد قام أيضا بتغطية مؤتمر **المجتمع العالمى فى المستقبل** » والذى انعقد عام ١٩٨١ عن طريق ربط نفسه خلال الكمبيوتر الشخصى بـ ٢,١ مليون جهاز تلكس .

هذا سمح للقارئ عبر كوكب الأرض فى الحصول على تغذية عكس مرتدة عن طريق طرح أسئلة وأفكار تحول القارئ والمشاهد إلى صحفى مشارك « من أجل خلق صحافة أفضل » .

ويقولون أيضا : إن الصحفى سيقوم بالعمل الذى يعتمد على

الحركة ، ويتخيلون الطرق التى يقومون من خلالها بإعداد وتقديم الأخبار للمستهلك الفردى وذلك عن طريق الكمبيوتر المنزلى .

إن الحديث عن تقديم الأخبار بواسطة الكمبيوتر : الكمبيوتر المذيع ، قد يبدو وكأنه خيال بعيد المنال .

وقد كانت بعض مؤسسات الإعلام قد عرضت منذ أكثر من فترة طريقة لبث **الوجود البشرى » عبر خطوط التليفون .**

إن الرؤوس الآلية المتحدثة على شاشات الفيديو وضعت على هيئة أقنعة تمثل وجوها بشرية « حية » وقد تم وضعها لتبدو وكأنها تتحدث ، وذلك عن طريق شاشة عرض مثبتة هى التى تقدم الوجوه الحية !

وعلى أية حال فإن الرؤوس الآلية المتحدثة .. ما زالت بعيدة عن الشكل المتوقع للروبوت الصحفى فى عالم الغد .

فى جامعة كارنيجى ميلون يعرض انز موارفيك كدير معمل الروبوت المتحرك ، رؤية للمستقبل : لن تصبح الربوتات الذكية قادرة على أن ترى وتسمع وتتحرك وتفكر . فقط إنها ستكون لديها المقدرة على إعادة تركيب وتطوير نفسها بدون مساعدة البشر .

أخيرًا ما هو شكل التحقيق الصحفى فى القرن الـ ٢١ ؟

■ إنه فى القرن الحادى والعشرين فإن من التحقيقات الصحفية التى تشابه ما فعله رودوورد ، وبرنشتين اللذين بنيا شهرتها خلال فضيحة ووترجيت ، سوف تتكون من فريق يشمل صحفيين بشرا وآخرين ليسوا بشرًا !

إن الصحفى غير البشرى – الصحفى الروبوت – سوق يتولى المهام التى يمكنه القيام بها بطريقة أفضل من أى إنسان ..

الصحفى الروبوت .. سيكون أكثر دقة من الصحفى العادى ، يقيس التحركات والوزن بدقة مذهلة ، إنه يستطيع زيارة الكواكب الأخرى ليقدم تقارير عن عوالم لا يستطيع البشر أن يرتادها .

صفحة جديدة فى التاريخ ..

إن صحفى المستقبل ، هو صفحة جديدة فى تاريخ الصحافة فى العالم كله ، وفى المجتمع الأمريكى بالتحديد ، ومن ثم فإن واقع المستقبل الصحفى لن يكون أبعد بكثير من الخيال الذى خلقه علماء وكتاب الخيال العلمى .

■ الصحفيون البشر سيستمرون فى (النبش) عن الخبر ، يرمى بشباكه فيصطاد خبرا !

■ « الصحفيون الروبوت ، تحاول السبق الصحفى » .

■ تكنولوجيا تتطور من أجل مستهلك أخبار سلبى يعيش فى منزله ، وهكذا صوروا الملتقى !

■ صحفيون هواة يتطوعون لتوسيع نظام إعلام عالمى .

هذا هو التغيير ، يبدأ من هنا ، ولكن هل تتصور يومًا بدون صحف ! ولو حدث ذلك فى مجتمع مثل الولايات المتحدة ، التى عرفت بكل الحريات المسموحة والممنوعة . ماذا سيكون عليه المنظر ؟

لقد خطف التليفزيون كل شىء من الصحافة ولم يترك لها سوى الورق والمطبعة !!

إننا نستطيع أن نؤكد أن المجتمع لا يستطيع أن يعيش بدون صحافة ، وهذا المجتمع سيحاول أن يقف وراء الصحافة يؤيدها ، ويشد من أزرها وإخراجها من النكسة ، ولك كيف ؟ ما هى شروط المجتمع لانتشال الصحافة من محنتها ؟

إن التليفزيون الأمريكى (وهو نحو ٢٢ محطة حتى الآن من المحيط إلى المحيط) قد حاول إعاقة الصحف ووضعها فى أحرج موقف وجدت فيه نفسها منذ صدورها وانتشارها وتسلطها على المجتمع الأمريكى .

إن التليفزيون سباق فى نشر الخبر وإذاعته لحظة وقوعه بالصوت وبالصورة الملونة فى الموقع بطريقة مثيرة ، ومن هنا فقدت الصحافة الأحداث والواقعية صحافة بلا حالية صحافة تنشر الخبر ، تانى يوم !! كيف تتماشى مع التليفزيون العملاق ؟ وقد يقول قائل : إن الصحافة تحتفظ لنفسها بخط الرجعة فى الاحتفاظ بسرد التاريخ ، أصبحت هى ساردة التاريخ يوما بيوم وهذا ما لم يتوصل إليه التليفزيون بعد ، وإن كان ذلك غير مستبعد باستخدام التكنولوجيا بحفظ التاريخ على أدوات لم يصل خيالنا إليها بعد !

ماذا حدث عند اغتيال الرئيس كيندى ، وماذا حدث فى محاولة اغتيال الرئيس ريجان والرئيس أنور السادات ؟ ماذا فعلت الصحافة ؟ وكيف خطف التليفزيون كل الحدث ؟ من أوله إلى آخره ، وتلقفه وأعطاه للناس بكل تفاصيله لحظة وقوعه !! وشاهده الناس فى مواقع عملهم ، وأثناء استراحتهم فى حجرات التليفزيون أو فى غرف النوم .

لقد نقل التليفزيون الأمريكى لحظات الأحداث وهو يقف أمامهم وتصرفات من حولهم سواء فى سيارة كيندى ، أو لحظة توقف ريجان ، أو فى العرض العسكرى المشهود يوم ٦ أكتوبر فى القاهرة ١٩٨١ ، وسؤال آخر ماذا يمكن أن يقرأ الناس عن حرب لبنان ؟ أو حرب فيتنام أو أحداث إيران فى الصحف ، والتليفزيون يقوم على الهواء مباشرة بيث كل ما يتوقعه إنسان .

إن النشرة الإخبارية الصحفية فى أى تليفزيون تقدم الآن من الروعة الإعلامية الوقتية أكثر روعة مما تقدمه القصص والروايات العالمية فالدراما الإنسانية الواقعة فى الأحداث والعالم يقترب من عام ٢٠٠٠ أكثر واقعية من مكان قصص وليم شكسبير ، أو تشارلز ديكنس ، أو ليوتولستوى ، أو لافونتين ، فالحياة الإنسانية بما فيها من وفاء ووحشية تعبر عنها الأحداث أكثر من روائع الأدباء والتطور الإنسانى وأخبار العلم والشمس والفضاء باتت أكثر شغفًا للناس من سرد رواية حب عالمية ، أو قصة حياة مشهور من المشاهير ، وهنا يصبح الغوص فى المجتمع وسبر أغواره والبحث عن الحقيقة .

الغريب هو المطلوب .

وهذا يؤكد نجاح مسلسل مثل الجذور أو دالاس الذى يعرى الحياة الأمريكية ويكشفها ، ونتأمل ، ونتأثر ، ونستغرب ، ثم لا نملك أن نعلق عليها ونضمن على سفالتنا نحن أبناء البشر حينما نتحكم بلا ضمير !!

إن منافسة الصحافة .. أمام التليفزيون يدعمها مصدر واحد هو « الإعلان » يحكم كما نعرف جميعًا أن الذى يصرف على الإعلان هو الناس أنفسهم .. والنظرية قديمة وأصيلة فكلما زادت المبيعات بفضل الإعلان زاد المكسب لصاحب الإعلان ، ومن هذه المعادلة الثلاثية الشهيرة أن أحدًا لا يدفع ثمن الإعلان ، لا المعلن ، ولا الوسيلة ... ولا المشترى ، ثلاثتهما يشتركون فى دفع عجلة الإنتاج وزيادة المبيعات والمكسب .

ومن هنا تجىء الخطورة ، لقد خطف التليفزيون – ذلك الجهاز

المحبوب – كل قراء الصحف اليومية ، بل كل قراء الكتب .. هكذا يقولون .. لكن الحقيقة أن المنافسة ما زالت مستمرة ..

■ **ماذا فعلت الصحف ؟**

اتجهت – ببساطة وبسذاجة – إلى الآثار ، وأفردت الصفحات بكل ما فيها من عناوين وصور واتجهت إلى مخاطبة القارئ الذى أصبح يتسلى بالمغامرات والفضائح وأخبار الجنس والاغتصاب ، ومدمنى المخدرات وما يأتون به من أفعال .

ولأن التليفزيون قد انفرد بالأحداث الجارية ، فقد اتجه أيضًا عدد غير قليل من الصحفيين إلى الكتابة فى موضوعات مثل : الرواية السياسية ، والمقال السياسى الصغير الضاحك والذى يحمل السخرية وأصبح واحد مثل « بوكوالد » الكاتب الأمريكى الساخر صاحب شهرة عالمية وتترجم مقالاته الصغيرة للإذاعة بلغات كثيرة .

نوع جديد من الأدب السياسى وهو يعتمد على تحويل العلاقات السياسية إلى علاقات (دراما) وأصبح الساسة أبطال « هيرو » مثل أبطال الروايات .

ولكن هل ذلك هو الحل ؟ ولنبدأ بالخواطر ...

■ لماذا ؟ : إن الصحافة كاميرا تسجل التاريخ والأحداث وتتفاعل معها ، وتؤثر فى توجيه أحداثها إيجابًا وسلبًا – أحيانًا – ولكن من يملك هذه الكاميرا ... وكيف تتحول عدساتها لتصنع كل صباح قصة طويلة من أحداث العالم الذى نعيشه ؟ .

إن الصحافة كالأغنية الحديثة ، فى الماضى كان المغنى ينشد بمفرده ، ويطرب الناس ولكن عندما انتشرت آلات العزف ، وعرف

الناس الفرق الموسيقية ، والعوامل التى تساعد المغنى على تأدية دوره وأصبح لا يستطيع أن يغنى بمفرده ، وإلا لفظه الناس ، وحتى ينجح أصبح ضرورة أن تكون هناك محطات إذاعة وشركة إسطوانات وملحن وجمهور ، هكذا الصحافة أيضًا ، كان الصحفى فى الماضى هو رئيس التحرير والكاتب الأول والمدير وسكرتير التحرير وصاحب المطبعة ، ولكن لكى تتطور الصحافة ، كان التخصص وهو السبيل إلى هذا الرقى ، وفى رحلة **تطور الصحافة كان الإعلان هو السبب الرئيسي للتحرر الاقتصادى للصحيفة ، وأخذ الإعلان وهو المورد الأول للصحيفة يدعمها ويقف وراءها .. إلى أن أصبحت الصحيفة أسيرة الإعلانات !!**

وبسبب التقدم السريع فى وسائل الطباعة الفنية وفى عمليات **تصنيع الصحف** السريعة وسرعة انتشار الخبر أدى ذلك إلى تشابه الصحف ، وعادت المشكلة إلى صدر سكرتير التحرير ليبحث لها عن حل ، والحل هنا حل إنساني ، **الحل بالفن الصحفى المتجدد** الذى لا يقف عند حد ، لقد دخلت الألوان إلى الصحف ، وتغيرت تيبوجرافيا الحروف ، وفى المستقبل سيزداد توزيع الصحف كلما زاد عدد السكان وكلما انتشر التعليم ، والناس تلهث وراء الخبر ، وهذا معناه مزيد من التجديد ومزيد من العمل ، **وهنا تبرز أهمية سكرتير التحرير** ، وتبدو عظمة الإنسان فى أنه دائم الاستفادة من كل ظاهرة تطور تمر فى حياته ، فليتقطها ويعللها ويفسرها ، ويحولها إلى علم يستفيد به كل جيل بعده علم له منهج يتوارثه جيل من جيل .

تحولت مظاهر الحياة إلى علوم ، ولقد أصبحت الصحافة أيضًا علمًا كبيرًا له أساتذة ومدارسه وتتفرع منه علوم كثيرة ، منها علم سكرتارية

التحرير الذى نحن بصدده نلقى إليه بشعاع من ضوء فينير لنا طريقًا طويلاً يحكى ما فعله الذين قبلنا ، ونستنبط ماذا سيفعل الذين سوف يسيرون بعدنا ، على ضوء عملنا قد يحمدوننا على ما فعلنا ، وغالبًا ما يقدحون كل: تصرف خطيناه، وهم فى الحالتين – قطعًا – على حق !!

قد يكون شعاع الضوء الذى ألقيناه ، لا يكفى مع سرعة الحياة التى سوف يرونها ويعايشونها وقد تكون تجربتنا أشبه بتجربة الإنسان البدائى الذى لم يعرف فى حياته سوى النار التى تدفأ بها وعليها بعد طاعمه ، ولكنه بعد مستقبل ليس ببعيد اكتشف بأكثر من وسيلة حديثة ومنها خرج مسرعًا ، يبحث عن سعادته ، التى من المستحيل أن يجدها !! فطالما أن الشمس تشرق كل صباح لتعلن بداية رحلة عذاب الإنسان من يوم إلى يوم جديد ، هيهات أن يجد سعادته ، لقد حاول أن يورث أجياله مفتاح السعادة ، فسجل تاريخه مملوءا بالخطأ والصواب ، وبعث بالرسائل إلى الأجيال التى بعده عن طريق الحفر واختراع الحروف بها يسجل انتصاراته لأولاده يفخر بها، كانت حروف اللغة ومنها يبعث منهم روح الأمل ، ويلقى الضوء على رحلة المستقبل وكانت أول عمليات الطباعة للبشر ، وتجلى ذلك فى صورة التماثيل مرة ، وفى أخرى على واجهة المسلات ، ويكفينا حجر رشيد أول صحيفة مصرية منذ فجر التاريخ البعيد ، اكتشفت يوم أن بدأ الغرب على يد فرنسى يبحث عن **أصل مصر** ، ومنذ حجر رشيد ...

من أجل هذا فإن سكرتير التحرير المصرى الجالس القرفصاء سوف يحكى قصته وهذا هو بيت القصيد ..

□□□

لما كانت قمة العمل الصحفى هى « التنوير » ، وهذا يتطلب رأيًا

شجاعًا فى موقف ما سياسيًّا كان أو اجتماعيًّا معتمدًا على أدوات الصحفى الطباعية .. معتمدًا سلامة التوزيع .

أى أن الصحافة عمل أدبى يعتمد على ما حوله .

■ مثلاً : لقد استفادت الصحف من نظريات برجسون فى الحدس ، فهى تتنبأ بالأحداث .. وتكتب ما يعرف الآن بـ .. ما بين السطور .

ما بين السطور هو ما نجده فى أخبار قديمة يعاد نشرها من ١٠٠ سنة أو ٧٥ سنة أو ٣٠ سنة ، أو هوامش أو كان يا ما كان بها تعكس صورة للماضى ، وكأنك تلمح عن شىء ما ! ..

مجلة روز اليوسف تنشر فى المناسبات أعدادًا قديمة كاملة لها معنى ، عملاً بأن التاريخ هو ظل الإنسان . وأنه أيضًا يعيد نفسه .

■ **بين الكلمة المكتوبة والكلمة المطبوعة :**

إن علم الفلسفة هو مجموعة أفكار ، والتاريخ المتميز هو السيرة ، هو قصة الإنسان وليس علم الحياة نفسها ، وليست العلوم الرياضية هى دراسة الأشياء المجسمة ، بل هى دراسة العدد والعلاقة والشكل مستقلة عن هذه الأشياء نفسها ، ولكنها تصدق على الأشياء نفسها .. الصحافة هى كل هذه العلوم مجتمعة .

لهذا منذ بدأ الإنسان يسجل أفكاره وفلسفاته كان لابد له من البحث عن مكان وأدوات يطبع بها أفكاره ، مرة نراه يحفر على المسلات ويكتب على الأرض ، ويعمل المقاييس على النهر ويحكى أخباره وتتحول إلى أساطير .

○ **مداخلة : أقدم حروف مطبعة** : يظهر أن الكوريين استخدموا حروفًا معدنية ومنسقة ومرتبة حسب رغبة الطابع ، حروف متفرقة ،

وذلك منذ عام ١٤٠٢ ، وكان الكوريون يطبعون عليها ما يريدون طبعه يوضع الورق على الحروف بعد صفها وضغطة قليلاً بقطعة من الفلين .

وكنت أتصور أن الإنسان لو اخترع آلة التسجيل والكاسيت لكانت أبقى من ورق الصحف – لكن لأن التاريخ قفزات واسعة وأن التطور هو سنة الحياة ، فإن الطباعة والحفر كانت أسبق من الوسائل التسجيلية لهذا انتشرت ، ومنها وبعدها خرجت الأدوات الحديثة التى تعرف الآن باسم « الريكوردر والكاسيت » ، ولكن فهل معنى هذا ، أن هذه الأدوات سوف تغنى عن الطباعة ، العقل يقول لا ، والتصور السريع يقول ممكن .

العقل يقول لا .. لأن سحر القديم وأصوليته لا يمكن أن تطمس من العقل البشرى بسهولة ، حتى ولو أصبح هذا القديم باليًا .

إن فن الطباعة والحفر ، سيظل أخلد فنون التسجيل مهما تطورت أدوات الإذاعة والتليفزيون وأدوات التسجيل الصوتية فالكلمة المكتوبة هى صك واعتراف على لسان الإنسان بخطه ، ولكن الصوت والهمس دائمًا يحمل معنى نقوله نحن بالكلمة الشعبية أى كلام ، ولكن الكتابة هى سر ووثيقة تحمل دائمًا معنى الأهمية !!

تطورت الكتابة وتفنن المتخصصون فى تحويلها إلى أدب ، من هذا الأدب خرجت الصحافة إلى أن طغى على الصحافة الفن الطباعى المذهل ، وتحولت المعادلة من أدب صحافة إلى صحافة طباعة ، ومن خطورة تطور عملية الطباعة صدرت قوانين الطباعة ولم تصدر فى هذا الوقت قوانين تحمل عنوانات الأدب ، أو تحمل عنوانات الصحافة فهكذا تحكمت الآلة فى الإنسان ، وأصبحت الطباعة هى مهنة

الصحفيين وحاملى الأقلام !! دخلت المطبعة فى حياتنا وأثرت فى أسلوب حياتنا وغيرت من طباعنا ، وأصبح مقياس الحاضرة فى دولة من الدول هو مقدار ما تستهلكه من الورق المطبوع .

■ **ملحوظة** : يقول الفيكونت فيليب دى طرازى مدير دار الكتب المعروف فى بيروت ومؤلف « تاريخ الصحافة العربية » : لا شك خط الإنسان ينم عليه بعض الشىء فإنما الخطأ أثر من آثار صاحبه طبع بطابع شخصيته وصفاته وقد جاء فى الحكم المأثورة ، ما قرأت كتاب رجل إلا عرفك مقدار عقله ، وكما يدل إنشاء الكاتب على عقله قد يدل خطه على خلقه .

■ **المهم** : تطورت الطباعة وانتشرت الصحف ، وكان وراء انتشار الصحف أناس عملت فى الضوء وآخرون عملوا فى الظل ، وكلهم كللوا العمل الصحفى ، بنجاح واستمرت الصحف لتظهر لنا فى نهاية القرن العشرين بصورتها التى نعرفها .

ودخلت الصحافة مصر : جاءت بقدوم نابليون يبحث عن **سر مصر** ، وكان نابليون فى مقدمة الذين فهموا أهمية الصحافة ونفوذها ، فاستخدم أغراضها لمصلحته ، حينما أطلقت حرية النشر فى زمن الثورة الفرنسية ، كتب رسالة صحفية بعنوان « عشاء بوكير » وفيها تحدث عما دار بينه وبين بعض الناس من الحديث عن الأحوال السياسية !! ولما كانت رسالته توفى هدف حياته الجمهورية الجديدة فقد قررت الحكومة آنذاك طبع تلك الرسالة وتوزيعها مجانًا .

وبعد ذلك .. فكر فى إنشاء جريدة تنشر أراءه بين الناس ولكنه قبل أن يخرج فكرته هذه إلى الوجود بدأ فى نشر رسائل موجهة إلى حكومة الدير كتوار ، وكان يطبعها ويوزعها بين الجنود والضباط ، ثم أنشأ

صحيفة « بريد جيش إيطاليا » وكان رئيس تحريرها جوليان يكتب أفكار بونابرت ، ثم أنشأ صحيفة سماها فرنسا كما يراها جيش إيطاليا » .

وهكذا كانت الصحافة هى هواية نابليون ، ولم ينسها وهو فى مصر ، فجلب معه الطباعين وأدواتهم ، ولعبت صحافته فى مصر أول « جولة صحفية » بالمفهوم العصرى .

■ **ملحوظة** : حدث فى أوائل القرن السابع عشر فى عام ١٦٣١ فى فرنسا أن أنشأ ثيوفراسكا رينودو ، وهو طبيب جريدته الشهيرة « الغاريت » وقد ظهر أول عدد منها فى ٣ مايو وكانت تنشر الأخبار كالآتى :

■ فى ٩ فبراير أمرت مدام دورليان راهبة شيل بإقامة قداس لسلام روح الدوق دورليان .

■ فى ١٥ فبراير بلغ الملك عامه الخامس عشر .

■ فى سنة ١٦٦٥ أنشأ دنى سالو ، وهو مستشار فى البرلمان صحيفة أدبية أسماها جريدة « العلماء » واستمرت هذه الجريدة فى خطتها حتى اشترتها الحكومة فى سنة ١٧٠١ .

■ لكن .. أول صحيفة يومية فقد ظهرت فى نوفمبر ١٧٧٦ وهى « جورنال دى بارى » .

■ وكانت أول صحيفة يومية إنجليزية فى الديلى كرنت فى عام ١٧٠٢ .

وبالرغم من وجود الناسخين المصريين لكن كان من أهم إنتاج المطبعة الفرنسية :

■ هجاء عربى تركى فارسى لاستعماله بالمطبعة الشرقية والفرنسية جمعه مارسل « طبع الحملة الفرنسية » فى ١٦ صفحة طبع بالإسكندرية بالسنة السادسة فى قالب الربع .

■ تمارين للقراءة العربية الفصحى مقتطفة من القرآن الكريم لفائدة المشتغلين بمطالعة هذه اللغة « وجمعها » مارسل فى ١٢ صفحة طبع الإسكندرية .

■ جريدة الكوريين « دى جيبت » وهى جريدة سياسية أنشأها مارك أوريل كانت تظهر مرة كل خمسة أيام وقد طبع منها الاعداد الثلاثين عدد الأولى ثم طبعت بالمطبعة الأهلية فصدر منها ١١٦ عددًا وتاريخ العدد الأول ٢٨ أغسطس ١٧٩٨ ، وكل عدد فى ٤ صفحات .

■ جريدة لاديكاد أجيبسيان ، تصدر ثلاث مرات فى الشهر لا ينشر فيها ماله مساس بالسياسة وإنما تبحث فى الشئون الاقتصادية والعلمية والفنون والتجارة مع علاقاتها العامة والخاصة ، والتشريع المدنى والخيالى والمعاهد الأدبية والدينية ، وقد جاء فيها أن الغرض من إنشائها هو تعريف أهل مصر ليس فقط للفرنسيين المقيمين بمصر بل لأبناء جلدتهم فى فرنسا وأنحاء أوروبا .

■ وصف الرمد فى مصر وطرق معالجته للطبيب سافار يزى .

إعلان عن الجدرى باللغتين الفرنسية والعربية .

■ نظام الجمهورية الفرنسية طبع بالجيزة بالمطبعة الأهلية .

مداخلة : كانوا يستخدمون البوص بدلاً من الريش لأنه يتفق والحروف العربية وعندما يريد الناسخ العربى الكتابة يضع الورق على ركبتيه أو على راحة يده اليسرى ، أو على ما يسمى « مسندة » وهى عبارة عن اثنتى عشرة ورقة مضمومة بعضها إلى بعض من أركانها

الأربعة وتحاكى فى شكلها الكتاب القليل الورق ، أما الحبر فيوضع فيما يسمى « دواية » وتوضع معها المبراة وأداة من العاج تسمى « مقطع » توضع عليها الريشة إذا أريد بريها .

ويثبت الكاتب ورقته بأن يضع تحتها قطعة من الورق المقوى السميك يربطها بالخيط وكان يوجد فى القاهرة عدد كبير من الذين يكسبون عيشهم من نسخ المخطوطات ويتقاضى الناسخ ثلاثة قروش عن نسخ عشرين صفحة من القطع الكبير بحيث لا يقل عدد أسطر الصفحة عن الخمسة والعشرين ويزداد الأجر إذا كان الخط منمقا ، ويضاعف إذا كتب بالشكل !

□□□

■ أيضا طبعه سنوية العام الثامن للجمهورية .

■ مجموعة المستندات والأوراق الخاصة بمحاكمة سليمان الحلبى قاتل كليبر والحكم عليه باللغات الثلاث الفرنسية والعربية والتركية .

■ **التنبيه** : وهى جريدة أصدرها الجنرال منو فى ٦ ديسمبر سنة ١٨٠٠ وظهرت باللغة العربية بالمطبعة الأهلية ومحررها الشيخ إسماعيل الخشاب ، والغرض منها أدبى وتوزع بالقاهرة والأقاليم ، والاجتهاد فى نشرها باليمن وسوريا وأفريقيا الوسطى ، واشترط أن يعرض ما يكتب فيها على علماء الديوان بمصر ولهم الحق فى إثباته أو محوه ، كما قالوا :

دخلت الطباعة والصحافة إلى الدم المصرى .

خرجت فى صورة المسلات والمكاتبات وعادت إليه بالصورة العصرية .

وكانوا وقتها إلى جانب الصحافة الفرنسية التى مارسوها يسمعون

عن أول ما طبع فى القسطنطينية عام ١٧٢٨ بالحروف الشرقية كتاب ترجمة صحاح الجوهرى إلى التركية ، ومن يومها ، ومنذ ظهور الوقائع المصرية إلى الصحافة الشعبية التى عرفت فى عهد إسماعيل وانتشار المطابع ، ثم صحف الثورة العرابية التى كانت تطبع فى الخفاء إلى صحافة ثورة ١٩ ومنشوراتها السرية التى طبعت ووزعت على الطريقة المصرية كان المصرى يكتسب يومًا بعد يوم خبرته الطباعية ، إلى أنْ أصبح كاتبًا وفنانًا وطبيعًا ، وتخصصا ، وظهر سكرتير التحرير وأصبح له دوره الهام فى إعداد الصحيفة للطبع .

□□□

■ **مداخلة** : يقول الدكتور خليل صابات : على الرغم من إنشاء مطبعة بولاق فقد ظلت حركة بيع الكتب فاترة ، ولم يقل عدد الذين ينسخون الكتب ويقول « إدوار لين » : كان يوجد بالقاهرة عدة مكتبات كبيرة ألحق معظمها بالمساجد وأغلبها تعنى باللاهوت والفقه وأصول اللغة ولكن تلك المكتبات مهملة إهمالاً فاضحًا مما أدى إلى سرعة تلف محتوياتها .

ويملك عدد من التجار والأغنياء مكتبات خاصة عامرة بالكتب ، أما بائعو الكتب فلا يزيد عددهم عن الثمانين وحوانيتهم فقيرة بالكتب ، وقلما تخاط أوراق الكتب بعضها مع بعض ، بل إنها توضع عادة فى غلاف مقوى بالجلد ، وغالبًا ما يكون لذلك الغلاف صندوق خارجى مصنوع من الورق المقوى السميك والجلد ويطلقون عليه اسم « ظرف » وتضم كل ورقات أو كل فرخين لبعضهما إلى بعض فيتألف منها ما يسمى بالكراسى .

وأصبح للمخرج الصحفى أدواته التيبوغرافية وهى لكلمة مشتقة من كلمة (Type) وأول من ترجمها إلى العربية هو الدكتور أحمد حسين

الصاوى ، وهى تطلق على ورقة الطباعة من حيث هى جسم معدنى أو خشبى . وكل الأدوات والأشكال المستخدمة فى صفحة ما .

وأصبح عليه مهمة توزيع الوحدات التيبوغرافية فوق حيز الصفحة ، واختيار هذه الوحدات وإبرازها وفقًا لخطة معينة ، وهذا ما نطلق عليه الإخراج الصحفى ، وأصبحت مهمة الإخراج أن يحقق التوزيع التيبوغرافى على الصفحة ليصل إلى الهدف من قراءة الصفحة بسهولة !!

وعليه أيضًا مهمة صدور صحيفة فى ميعادها المناسب ، وأصبح عليه أن يصحح العدد لغويًا وطباعيًا ونشأت وظيفة المصحح ليقوم بهذا العمل الخطير فعليه أن يكون العدد من الصحيفة بدون أخطاء ، وأصبح المصحح مساعد سكرتير التحرير الأيمن ، ونجاحه يتوقف على معرفته وعلمه ودقته وحاسته الصحيفة أيضًا .

إن تصميم الصفحة هى مجموعة من التآلف التيبوغرافى والتصميم Layout ومهارة المصور والحفار والطبيع واستخدام الحبر والورق .

□□□

■ **خواطر من الماضى ، والحاضر .. !! :**

كانت الصحافة المبكرة جزءا من الحضارة عند الشعوب ففى مصر مثلاً كان شكل الصحف غريبًا فى بدايته ، كان الفراعنة يكتبون أخبار الحروب على جدران المعابد وعلى المسلات ، الهرم نفسه كان شاهدًا على تاريخ الفراعنة .

ولعل من اللافت للنظر أن أول مصدر للأخبار فى مصر فى الماضى كان مقياس النيل عند الروضة فمنه يعرفون مناسيب النيل ، ومنه يعرفون حالة الماء والرى ، وعليه يتحدد مصير الثروة فى البلاد ، ماذا يزرعون ومتى يحصدون ، أخبار حياتهم لعام قادم .

ولعلنا لا نذهب بعيدًا إذا قلنا : إن المسلات ومقياس النيل هما أول الصحف الإنسانية التى عرفتها البشرية ، ثم يأتى بعد ذلك ورق البردى ، وهو ورق مصرى قديم وكلمة – بردى – ترجمة فى اللاتينية ، والإنجليزية إلى حكمة بابريوس ، وعلى هذا الورق سجلت الأخبار التى تحولت فيما بعد إلى وثائق تاريخية ، ودائمًا ما كانت هدفًا للعدو يحرقها ويعثرها .

وفى المتحف المصرى فى ميدان التحرير توجد قطعة حجر فخارية غريبة لافتة للنظر حيث كتب عليها إعلان مبوبة بالمفهوم العصرى للإعلان الصغير وهو رجل يبيع حمارًا فكتب الإعلان على حجر ووضعه أمامه فى السوق ، والقطعة أثرية تبين أهمية الكلمة فى البيع والشراء .

تأتى بعد ذلك بقرون فكرة تعميق الصحافة ويصادق اختراع مطبعة جوتنبرج نجاحًا منقطع النظير ، اخترع المطبعة الحديثة وطبع عليها الإنجيل باللونين الأسود والأحمر ، وهناك فى مدينة ماينز إحدى ضواحى فرانكفورت يوجد متحف « جوتنبرج » وفى هذا المتحف سينما تعرض فيلمًا تسجيليًّا بالكارتون عن قصة اختراع الطباعة وكيف طوع حروف اللغة فى سبائك ، ولكن لابد وأن نعرف أن مطبعة جوتنبرج ليست هى مطابع الصحف ، فمطابع جوتنبرج لا تستطيع أن تطبع خمسة ملايين نسخة يوميًّا من صحيفة مثل الصحيفة الإنجليزية « ديلى ميرور » أو « الصان » لقد تطورت المطبعة كثيرًا فبعد مطبعة جوتنبرج الحجرية أصبحت الطباعة ميكانيكية ، والآن طباعة الكترونية .

بدأت الصحف تغير من شكلها لتواكب الحياة الجديدة الثورة

الالكترونية ، واهتمت الصحف بطباعة الألوان فبعد أن كانت تستعمل الألوان فى الرسوم لسهولتها ، دخلت الألوان إلى عالم الصور أيضا .. وبدأت مؤتمرات الطباعة والصحافة وزادت المعارض السنوية ونرى مؤسسة مثل « إفرا » فى ألمانيا تهتم بتقديم الدراسات الطباعية للصحف عن كيف تتحول إلى الالكترونات فى الصحافة ، كيف تطبع بالألوان كيف تطور صحيفتك بأرخص الأسعار ؟ .

وبعد أن كانت كلمة صورة بالراديو كما حدث فى الأربعينات انقلاب فى الصحافة وبعد أن كانت كلمة صورة بالتليفون كما حدث فى الستينات قفزة ، أصبح القمر الصناعى الآن ينقل صفحات الصحف عبر القارات في دقائق ، وأصبحت الصحف تعتمد على وكالات الأنباء لتروى الناس أخبار كل الناس حول العالم ، وأصبحت الصحف تهتم بالأخبار العالمية والتطور العالمى وساعدها على ذلك سهولة الطيران والمواصلات واللاسلكى والتليفون والأقمار الصناعية .

لقد كانت الصحف فى الماضى تعتمد على اسمها الذى تضعه فى الصفحة الأولى بأكبر حجم على عرض الصفحة ، وعادة ما كانت الصحف تقول فى افتتاحيتها الأولى : لماذا ظهرت هذه الجريدة ، وكان الاهتمام باسم الكاتب ليزيد التوزيع أو ينخفض به انتشار الصحيفة .

من الطريف أن الصحف العربية لم تعرف العنوان الذى يملأ الأعمدة الثمانية إلا فى عهد مصطفى كامل فى صحيفة اللواء ، حينما نشر العنوان على ثمانية أعمدة عن « حادث دنشواى » وباللون الأسود ، ولم يدخل اللون الأحمر فى الصحف المصرية إلا بعد ثورة ١٩ وبعد صدور دستور ١٩٢٣ ، وانتشار الطباعة

الحديثة ، قبل ذلك وقفت المطبعة الأميرية فى مصر تؤيد وتساعد على تعريب الطباعة وإلى جانب طباعة الوقائع المصرية لتطبع الكتب ، ولعل أول كتاب طبع فى هذه المطبعة هو كتاب « عمل الجراحة العربى » ، وقد طبع منه ٥٠٠ نسخة ، وكذلك تعريب الأمثال الخاص بتأديب الأطفال وطبع منه ٥٠٠ نسخة أيضًا ، وطبعوا أيضا رسالة اللغة » ، تنوع طباعى جديد من أجل تجويد اللغة العربية ولانتشارها ، أليست المطبعة موجودة ؟

تجئ هذه الخواطر لأنه ستظل الصحف هى من أهم مصادر التاريخ .

وسيظل المخبر الصحفى هو سيد الموقف فى العمل الصحفى ، عالم ماذا نريد أن نعرف .

□□□

وهكذا فعلها الصحفيون ، إن المخبر الصحفى الأمريكى كان منشدا للقصص الشعرية يطوف ببلاط النبلاء ويردد الأغنيات عن أعمال البطولة ، أو المعارك ، أو القصص الغرامية أو الأحداث التى سمع عنها ، وكان عادة مايزين أخباره ويضيف عليها صورًا من البطولة ، وبعد ذلك ظهر منادى البلدة الذى كان يطوف أرجاءها مناديًا بآخر الأخبار ، وبعد ظهور الورق والمطبعة أخذت هذه المهنة شكلاً جديدًا ، وأخذت تتطور خاصة بعد معرفة الحروف المتحركة ، وجاءت الصحيفة مملوءة بالأخبار والمواعظ ليقرأها الناس .

ولكن المخبر الصحفى ظل هو الشخص الذى يجمع الأنباء ويسجل ما يجمعه ، إن الحصول على الخبر وتدوينه هى وظيفة المخبر الصحفى ، وقد تطورت حينما أخذ يبحث عن سبب حدوث الخبر ومن الذى اشترك فيه ؟ وكيف حدث ؟ ، لقد أضافت الصحافة أسئلة خالدة

لكي يجيء الخبر كاملاً ، وستظل هذه الأسئلة خالدة لأنها دائرة لا يحرج منها الحبر الكامل وعليها تلف كل محتوياته وهى ، من – لماذا – متى – أين – لماذا – كيف ؟ والجديد الذى استحدث حول هذه النظرية هو رد الفعل للخبر على شرائح المجتمع ، وقد يكون هذا هو التحقيق الصحفى . ولكنه فى الصحافة الحديثة أصبح الخبر لكى يكون كاملاً ، لابد من نشر رد الفعل ولو فى اليوم الثانى ومن هنا جاءت « استمرارية الخبر » وأصبح الخبر هو كل التفاصيل ، وقد سبقت الصحافة الأمريكية فى مجال الخبر ، واهتمت به ، وانتشرت الصحافة التى أطلق عليها زمن « صحافة السندوتش » وانتشرت لأن الخبر هو العمود الفقرى للصحيفة .

وأصبح المخبر الصحفى عليه أن يكشف التاريخ ويقدمه للناس فى أسرع وقت ، فهو دائمًا فى حالة ترقب وانتظار الحدث ليقدمه للناس ويحكى فيه قصتنا البشرية المثيرة المتكررة .

إن صورة المخبر الصحفى التى تتركز فى ذهن الناس هو ذلك الرجل الذى يفرط فى تناول الخمر ، ويضع على رأسه قبعة لا يخلعها قط ، يتحدث والسيجارة فى فمه ، فاتر الإحساس ، وعليه أن يشارك فى حل ألغاز جرائم القتل ، وهتك العرض ، ويفضح السياسيين حياته قصيرة ولكنها مثيرة ، هذه هى الصورة التى قدمتها السينما العالمية لرجال الصحافة .

ولكن هل ذلك صحيح ؟ بالطبع لا ! إن الصحافة عالم آخر ، غير عالم السينما الذى نراه .

إن مخبرى الصحف الآن يعيشون حياة طبيعية إلى حد ما يعملون

فى ساعات منتظمة إلا نادرًا ، وزعت اختصاصاتهم فكل واحد منهم مسئول عن جزء فى قطاع من قطاعات المجتمع ليغطى أخباره . حياتهم مثل حياة كل الناس مشاكلهم .. وأحاديثهم هى نفس أحاديث أصحاب المهن الأخرى أنهم شريحة مثل شرائح المجتمع ، وشخصية شارلوك هولمز أو أرسين لوبين ليست هى الشخصية الصحفية الموجودة الآن .

وفى المجتمع الأمريكى لم يصل المخبر الصحفى بعد إلى المركز المالى الذى بلغه الطبيب أو المحامى أو مدير الشركة ، ولكنه يتمتع تقريبًا بنفس المركز الذى للسياسى والممثل والموظف العام والمدرس والرياضى .

ولكن مازال المخبر الصحفى يشارك كل هؤلاء فى مركزهم الاجتماعى ، يمارس وظيفته باعتباره شخصية عامة ولكنهم ما زالوا ينكرون عليه حقه فى الحياة الخاصة ، هناك علاقات بين المخبر الصحفى والشخصيات السياسية ، وبين المخبر والفنانين وكذلك مع الرياضيين .

ولكن عملية جمع الأخبار مهنة مقنعة .. مقبولة ، وإلى أى حد ، هذا جزء من معادلة الصحفى الصعبة ، لقد أطلق الأمريكيون على عمل الأخبار اسم « المرتبة الرابعة » وتأتى بعد الأعيان وأرباب المهن الحرة وأصحاب الأعمال ، وأطلق علية رديارد كبلنج **الفن الأسود القديم** » ووصف العمل بأنه **لعبة** » أو **عربدة** » ولكنه فى النهاية عمل شاق .

وبالرغم من ذلك فإن جوائز عديدة تقدم كل عام تكريمًا للأنباء الهامة والانفرادات الصحفية ، ومن أهم هذه الجوائز جائزة « بولتيزر » للأنباء الصحفية التى تقدمها كلية الصحافة فى جامعة كولومبيا كل عام .

إن وجهات النظر المتضاربة بين المسئولين فى الحكومة هى المأزق يؤدى عادة إلى الضربة الصحفية الناجحة هكذا يقول معلم الصحافة الأمريكية ، وهذا لا يأتى مصادفة ولكنه مطلوب منه أن يعمل وقتًا طويلاً يراجع فيه التصريحات والمعلومات التى أفضى بها عدد المسئولين الذين الذين تدور فى اختصاصاتهم مسألة بعينها !

وقد وجد ريتشارد لويس المخبر فى صحيفة « صن تايمز » التى تصدر فى شيكاجو هذه المسألة مثلاً فى عام ١٩٥٦ ، فقد أثيرت مسألة قلة الاعتمادات لإعانة عدد من الموظفين كانوا قد طردوا من عملهم ، وبالبحث مع المسئولين عن الخدمة الاجتماعية فى نيويورك ومكتب الخدمات الاجتماعية فى « كوك ولاية شيكاجو » ، وعند البحث فى جداول الإحصاءات اكتشف المحور أن المجلس التشريعى للولاية لم يعتمد المبالغ الكافية للإعانة لمواجهة مشكلة طرد الموظفين وتعويضهم عن البطالة ! ، وعند نشر المشكلة – بصراحة – فقد باعت المدينة سندات للحصول على المال اللازم لمواجهة مشكلة بطالة الموظفين حتى تنتهى من الأزمة التى أثارت الرأى العام !!

وإن سرية الأخبار الأمريكية تزداد فى الهيئات الفيدرالية ، وتتركز أحيانًا هذه الأخبار فى العاصمة واشنطن وأحيانًا تتسرب هذه الأخبار إلى بقية الولايات إذا ما أعلنت الحكومة الفيدرالية عن عملها بواسطة المكاتب الإقليمية فى بقية أنحاء الولايات المنشآت الفيدرالية الكبرى موجودة فى مدن مثل أتلانتا ودنيفر وسان فرانسيسكو ونيويورك وشيكاجو ، وكذلك المنشآت العسكرية . المهم أنهم يحاولون تعتيم الأخبار حول عدد من الأخبار السرية .

ويجىء سؤال وراء سؤال ... .

ماذا حدث عندما شاهدنا التليفزيون بلا حدود ؟ : وأدخلت قناة التليفزيون الأمريكية الـ « سى . إن . إن » اتصالاً إعلاميًّا ثقافيًّا من نوع جديد عالى التكنولوجيا إنها المرة الأولى التى يقف فيها طبق فى الفضاء ليرسل لنا ما يحدث فى العالم أثناء حرب الخليج لحظة بلحظة ، جندى جندى ، ودبابة دبابة .

إن نحو ٧٥ مليون مشاهد من سكان الأرض كانوا يشاهدون هذا العرض وكأنه مباراة كرة قدم تذاع لحظة بلحظة مع اللاعبين .

الذى حدث فى الماضى أن الراديو لم يكن يعبر الحدود فكانت برامجه محلية وهكذا كان التليفزيون إلى أن حدث ما حدث وقالوا ما قالوا ، وهكذا دخل الإعلام العالمى منازلنا يسترخون ويفسرون ويحكون الأخبار عبر كل الأدوات التكنولوجية الحديثة .

■ أدوات الإعلام أصبحت فى أيديهم ، ومن يملك القدرة على إذاعة الخبر هو الذى يملك القوة لتوجيه الرأى العام .

لهذا نحن أمام عتبة عصر جديد ، الإعلام فيه هو التعليم والتربية ، والثقافة والمعلومات العامة .. الإعلام هو محور الحياة سياسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا .

وبالطبع نحن نبحث الآن عن دور وسط هذا الزحام الإعلامى الذى بدأت فيه نجوم إعلامية تتربع .

ماذا سنفعل ؟ ، وكيف نفكر ؟ ، وهل اختفت السيادة الإعلامية المحلية أم هى فى طريقها إلى الزوال .

إن كل ذلك الذى يحدث فى الفضاء الآن يدعونا إلى السؤال الآتى ما هو دورنا الإعلامى وما هو دور المؤسسات الإعلامية الكبرى وقياس الرأى العام ؟ .

إنه حتى الآن لم نضع منظومة كاملة لدراسة رأى الجماهير العربية وقياسها إزاء ذلك الزائر الفضائى الذى يحكى لنا الحكايات قبل النوم وفى عز النوم .

لكن الحق يقال إنه من حق كل مواطن أن يعلم كل شىء بحرية كاملة .

هذه هى قناة التليفزيون التى دخلت منازلنا ، واقتحمت حجرة النوم لتعيش معنا وتحكى لنا أخبار العالم ، ولتقرب المسافات بين قارات العالم المختلفة لكن سلبياتها هى أنها أبعدت القريبين وقربت البعيدين ، فأخذنا نعرف أخبار الرئيس الأمريكى والرئيس السوفيتى قبل أن نعرف أخبار أشقائنا فى المنزل المجاور .

■ **شىء هام أيضا سوف يتغير ألا وهو مفهوم الأمية :**

إن مستقبل الشاشة الإخبارية فى منزلنا سوف يحولنا إلى مخلوقات آلية ، هذه هى صورة المستقبل ، سوف تسلب بساطتنا أو قرويتنا كما يقولون ، ثم سوف تُمحَى الفروق الثقافية عند القراء ، ومن مشاهدة البرامج التعليمية والثقافية فى التليفزيون سوف يتغير معنى الأمية . سوف يصبح إنسان المستقبل ليس فى حاجة إلى الكتابة بيده أو القراءة بعينيه ، سيسمع ويشاهد ويفهم .

■ **باختصار** : إننا نشهد الآن عملية تغيير تاريخية بالحتم من ذهنية الإنسان ، لقد أصبحنا نخلق ونستخدم الصور والأفكار بسرعة أكبر فأكبر ، وأصبحت المعرفة شأنها فى ذلك شأن الأشياء والأمكنة والمنظمات والناس ، أكثر تغييرًا وتبديلاً .

■ **الغريب** : مع هذا كله تطالعنا الصحف عن ارتفاع مبيعات

كتب الدين فى أمريكا والكتب الدينية كلها ، القرآن الكريم والإنجيل وكتب التفسير وأقوال الأنبياء فى إحصائية لهم : لقد بلغ عدد المتاجر التى تبيع هذه الكتب ١٣٠٠ متجر بالولايات المتحدة ، باعت منذ اندلاع أزمة الخليج فى أغسطس وحتى أكتوبر من نفس السنة نسبة ٦٧٪ وهى نسبة لافتة وكبيرة بالتأكيد .

■ **وسؤال آخر ما هى لغة الإسبرانتو ؟ :**

أما اللغة الجديدة فهو ما يسمونه الآن « الاسبرانتو » وهى لغة مصطنعة ابتكرها ووضع قواعدها شخص بمفرده سنة ١٨٨٧ هو الدكتور لودفيك زاسنهوف طبيب عيون بولندى كان هدفه من ابتكار هذه اللغة الانتشار والتداول على نطاق عالمى بحيث تصبح اللغة الرسمية الثانية فى الأقطار التى تستعملها ، ولقد تعمد زاسنهوف أن تكون سهلة مباشرة ما أمكن ، ولهذا اختار من اللاتينية الأصول التى يعتبرها مشتركة فى معظم اللغات الاوروبية بالتطور والاستعمال عن اللاتينية كالفرنسية والإيطالية والبرتغالية والرومانية والأسبانية وغيرها ، وقد أطلق عليها اسم الإسبرانتو نسبة إلى مبتكرها زاسنهوف ، وقد كان اتخذ له اسمًا مستعارًا هو دكتور وإسبرانتو ومعناها أمل » باللاتينية .

إنهم يقولون إن لغة الإسبرانتو لغة التعلم للأوروبيين ذلك لأنها مأخوذة من جذور بعضها لا تزال متواصلة فيما بينهم إلى اليوم .

الإسبرانتو تعتمد على النطق أكثر من الكتابة « أى الذى لا يكتب لا يكون أميا » ، إسبرانتيا !!

■ **والاسبرانطيقا ...**

لقد كان نوبرت وينر ١٨٩٤ – ١٩٦٤ أستاذا للرياضة فى معهد ماساتشوسيت للتكنولوجيا ، والمشهور بأبحاثه فى مجالات التحليل

الرياضى ونظريات الاحتمالات وهو أول من صك اصطلاح « سبرانطيقا Cyberntico » وقد جاء هذا التعبير عن كلمة يونانية تحمل معنى قيادة أو « دفة الربان » .

السبرانطيقا هى علم المراقبة بآلات الإعلانية ، طبيعية أو عضوية أو مصنوعة هكذا عرفته الدكتورة جيهان رشتى ، وقد أصبحت الخاصة المميزة للسبرا ناطيقا هى الدراسة المشتركة لعمليات التحكم فى الأجهزة التكتيكية وفى الكائنات الحية أيضًا .

السبراناطيقا تيار يؤكد الاتصال لا يختلف فى الكائن الحى عند الآلة وأن هناك تشابهًا كبيرًا بين الكائنات الحية والآلة التى يقوم الإنسان نفسه بصنعها .

إن أسلوب عمل الإنسان والآلة واحد على الأقل من الناحية النظرية ، وإن اختلفت .

■ **المهم ستظل السبراناطيقا تتطور كعلم اسمه « التحكم الأتوماتيكى » .**

■ **مرة أخرى ما هى السبرانطيقا ؟ :**

إنهم يقولون : إن مفهوم الثقافة الآن فى حاجة إلى تغيير ، فالحياة تتغير ولكن الثقافة عندنا ثابتة وهذه خطأ لأنه لابد من أن تتغير مع تغيير ملامح الحياة ، ولكن هذا التغيير يواجه صعوبة فى لغتنا العربية وهى ميزة فى نفس الوقت ، فلغتنا مرتبطة بطبيعة تراثنا الذى هو جزء من العقيدة الدينية ، وهنا تكمن صعوبة التغيير السريع .

أما بالنسبة لغيرنا من أصحاب الثقافات الأجنبية فإنه من السهل جدًّا أن يغير كلماته فى لغته ويستحدث طرقًا جديدة فى التعبير .

■ **وماذا يفعل القمر الصناعى حامل القنوات التليفزيونية ؟**

■ بالتأكيد ثورة معلومات ، ثورة عميقة الأثر لأنها نقلت التغيرات من ميدان العمل العضلى الذى تحمل فيه الآلة العبء الأكبر الأشق إلى ميدان العمل العقلى والذهنى فعملية جمع المعلومات وتيسير الإفادة منها عمل عقلى يحتاج إلى تدريب ملكات أخرى بعيدة عن كافة العضليات المعروفة إلى طاقة الخلايا والأعصاب فى العقل والمخ فى الإنسان .

■ إن ثورة المعلومات عمرها قصير وهى تختلف عن الثورات السابقة مثل الثورة الصناعية اختلافًا جوهريًا إذ أنها لم تأخذ وقتًا ، وإنما هى سريعة التأثير بفضل ما أبدعه العقل من وسائل انتقال المعلومات بسرعة مذهلة فهى لا تتجاوز عشرين عامًا ومع ذلك فقد عملت آثارها وبدأ العالم كله يتعامل قدر ما يتاح له من نتائجها ، وأحيانًا دون أن يدرك مدى ما تعنيه هذه الثورة .

لقد قال الماريشال « ماك ما هابه » لقد أصبح العالم كله قرية كبيرة » ذلك أن الناس فى كافة أنحاء المعمورة ينصتون إلى برامج مشتركة من الأنباء العالمية والخطب والمباريات كلها هى ، هى .. مما يجعل الناس يتقاربون فى كثير من فكرهم وسلوكهم من بعضهم البعض .

■ وماذا لو دخل الروبوت المنزل مكملاً للذى يحدث فى الفضاء ؟

وهو بالتأكيد له تأثير على تفكير العاملين فى الصحف ، والناس عمومًا ، إنه وحتى الآن لم يخترعوا الروبرت الذى يطهى طعامك ويغسل ملابسك ، لكن تكنولوجيا الكمبيوتر أصبحت قادرة على أداء العديد من المهام المنزلية .

الآن الشركات تعمل جنرال الكتريك وميتسوبيشى حملة إعلانية

واسعة للترويج لروبوت يعمل بواسطة معالج مصغر ويستطيع أن يطفىء الأنوار ويشغلها ويشغل الأجهزة المنزلية ويضبط الترموستات .

وأطلقوا عليه الأسماء : مرة يقولون جهاز مدير المنزل « هوم ما يندر » ، ويعمل بواسطة لوحة توجيهيه رئيسية يمكن وصلها بأى جهاز تليفزيون ، هذا الجهاز سوف يسخن الفرن أو يشغل عين القهوة الكهربائية ، ويشغل قنوات التليفزيون ذلك بمجرد أن تصدر له الأوامر هاتفيًا ، سوف يجيب أيضا على التليفون أثناء غيابك .

جهاز أخر سيراعى الغاز فى المنزل أو دخول غرباء ، حارس يسجل الصور فى الظلام عن بعد يصل إلى ٥٠ قدمًا ، الكاميرا سوف تصور كل من يقترب من الباب وتطبع صورته فورًا .

■ **المنزل الذكى فى الطريق .**

إنهم يفكرون الآن فى بناء المنزل الذكى ، المنزل المزود بكل هذه الأدوات ، وإذا كنا قد ودعنا من قبل حجرة المسافرين ، تلك الحجرة الصالون الصغير التى لا تفتح إلا عندما يأتى ضيوف من بعيد ، مسافرين ، ودعناها ، بعد ما جاء الراديو ، وتحولت حجرة الجلوس إلى حجرة راديو والآن حجرة تليفزيون ، حجرة معيشة ، بالتأكيد غدًا حجرة المستقبل ستشمل كل هذه الأجهزة التى تؤكد أن القارئ سيصبح صحفيًا .

■ **كيف يتحول القارئ إلى صحفى ؟**

وهل صحيح أن كل إنسان سيكون صحفى نفسه ؟

إنهم يقولون إن كثيرًا من الناس فى عالم اليوم يعيشون فى حالة الفيديو العقلى المنتظر مجيئه من بيئة مكونة من الصور التكنولوجية المحفورة داخل البشر .

إن الخبراء حتى الآن لم يتفقوا حول اسم تلك الثورة ، هل هى ثورة اتصالات أم ثورة الرقابة ، ثورة المعلومات ، ثورة المعلومات والتكنولوجيا ، ثورة الكمبيوتر ، الثورة العالمية والتكنولوجية ، الثورة الصناعية الثالثة ، ثورة الالكترونيات ، ثورة الميكرو الكترونيات لكنهم بالتأكيد على يقين من أنه العالم « البعد الصناعى » ما بعد الصناعة يقوم بتطوير طرق ثورية لبث المعلومات بما فيها المعلومات التى يقوم الصحفيون بجمعها .

■ **وسؤال : ما الصورة التى سيكون عليها شكل مستقبل تلك المعلومات ؟ :**

ولعل رؤية واحد من علماء المستقبل هو فردريك ويليام بأن فى القرن الحادى والعشرين سيكون فيه لكل إنسان فى كوكبنا جهاز اتصال مركب على معصمه يسمح له يعمل « اتصالات » مع أى إنسان آخر عن طريق شبكة اتصال بالأقمار الصناعية .

وبالطبع سيكون كل إنسان فى حاجة إلى الحصول على أموال لمتابعة هذا التطور .

وأن معظم التنبؤات تفترض تلاقيًا بين تكنولوجيا المعلومات المتمثلة فى أجهزة الكمبيوتر والتليفزيون والتليفون وغيرها وكذلك إلى خلق نظام واحد للاتصالات ، إن علماء الألفاظ الجديدة يصفون هذا التلاقى بأنه « الاتصال عن بعد » وهو نظام مبرمج الكمبيوتر مع تكنولوجيا الاتصالات ، نظام موصل المعلومات ويشمل عملية الحساب الآلى والمعلومات بما فيها المضمون الخبرى اتصال الكترونى يضم الحاسب الآلى والاتصالات .

وأن نظام التليفزيون ذو المائة قناة والمتاح لكل شخص سوف تحتوى

تليفزيونات بمساحة الحائط ، وسوف يسمح لعدد أكبر من المشاهدين بالحصول على كمية كبيرة من البرامج الإخبارية على مدى الأربع والعشرين ساعة .

وهذه القدرة سوف تكون مصحوبة بما يطلق عليه « الكونية الجديدة » ، وسوف يصبح الناس أقل حساسية تجاه النقص فى الموارد الطبيعية والدمار الناتج عن التلوث العالمى والحاجة إلى التعايش السلمى .

■ **صحف تسود وصحف تختفى ! :**

عندما سأل أحد مديرى مؤسسة مردوتش الإخبارية ، عما إذا كانت شركته سوف تشترى أيا من قطاعات الأعمال التى تأثرت بانهيار إمبراطورية الراحل روبرت ماكسويل ، ضحك فجأة وقال :

– نحن لسنا فى موقع يسمح لنا بشراء أى شىء لسنوات طويلة ، فنحن خارج هذا السباق !

لقد كان يعنى أن الصحف عليها أن تتقشف قليلاً ، فالمصروفات كثيرة جدًّا ، وهناك مجموعات إعلامية وما زالت تعمل تحت ضغط جبال من الديون التى تراكمت فى الثمانينات فترة تطوير الصحف فى العالم كله ، وهناك صحف تعرضت للخسارة وأخرى حققت المزيد من الأرباح الخيالية .

وقال : إن شركات الإعلام العالمية التى تنتج أفلامًا وبرامج تليفزيونية وصحفًا وكتبًا قد أنفقت ما يقرب من ١٥٠ بليون دولار على عمليات الإحلال والتجديد فيها ، وأنفقوا أيضًا ٥٠ بليون دولار أخرى على قنوات الكابل والأقمار الصناعية ، ونسمع فى بريطانيا عن مبلغ ٢٠ بليون دولار أنفقت على وسائل الإعلام فيها ، ونسمع عن إمبراطورية مردوتش التى تعد ثالث أكبر إمبراطورية إعلامية فى العالم بما تملكه

من تليفزيون فوكس بالولايات المتحدة غير سلسلة الجرائد القومية ومحطة تليفزيون سكاى بالمملكة المتحدة ونعرف أنها تستمر وتنجح بسبب تمويل البنوك ، إنها تستدين إلى ما وصل إلى ٨ بلايين دولار ، لكن الصحيح أنها تسدد ديونها مجدولة .

وكذلك التايم وارنر كبرى شركات الإعلام العالمية والتى تمتلك مجلة التايم واستديوهات إخوان وارنر للأفلام تعرضت لهزة عنيفة بسبب الديون قدرت بـ ٨,٥ بليون دولار ، ماذا فعلت ؟

أقامت مشروعات مشتركة مع مولين آخرين للمساهمة فى تكاليف وتطوير خط الكابل التليفزيونى الخاص بها .

ثم العملاق الفرنسى هاشيت ماذا فعل بديون قدرها ٧,١٠ مليون دولار ، فكر فى مشروعات تدعمه ، ومشروعات تجديد مستمرة للبحث عن القارئ وعن الإعلان .

شركة الالكترونيات اليابانية العملاقة « سونى » والتى دفعت ٣,٤ بليون لتصوير لاستوديو كولومبيا بهوليوود ١٩٨٩ ، وماتسوشيتا منافس سونى والتى دفعت ٦,٦ بليون دولار لاستوديو MCA قد حققت واحدة من أكبر الاستثمارات فى مجال الإعلام على أساس أن الأفلام تعتبر إنتاجًا عالميًّا ، والسنوات القليلة القادمة سوف تثبت عما إذا كان ذلك صحيحًا أم لا .

المهم أن معظم هذه المجموعات الأوروبية بدأت تجرب عمل « شغل إعلامى » خارج حدودها المحلية .

ان الاعتقاد بأن الإعلان هو العائد الذى يقود المجلات والجرائد والتليفزيون يتزايد باستمرار لكن أيضا بدأ التفكير فى البحث عن أموال من مصادر أخرى لتدعم الجورنال .

الصحافة والإعلام بين النجاح والفشل المادى هو موضوع اليوم .

هذا هو حال الصحافة فى العالم ونحن نقترب من عام ٢٠٠٠ بداية القرن الحادى والعشرين أين نحن من ذلك كله ؟

لقد أخذت أخبار اليوم والأهرام فى تكوين شركة موحدة من أجل أعمال صحفية وإعلامية وطباعية كبرى تدعم بها نفسها ماديا لمواجهة تحديات الصحف .

هل يشترون قمرًا صناعيًا ؟

هل يفتحون مصنعًا لإنتاج ورق الصحف ؟

إنها خطوة على الطريق ، المهم أن نحسبها حسبة دقيقة .

وماذا يحدث فى صحافة العالم الآن والثورة الجديدة فى عالم الطباعة .

مثلا فى جريدة « التايمز » تتحدث الصفحة الأولى عن أكبر صفقة فى تاريخ الصحافة على الإطلاق ، وهذه الصفقة الأسطورية فى عالم الطباعة تبلغ ٥٠٠ مليون جنيه استرلينى وتمت بين نيوز انترناشيونال . وألمانيا الغربية ، والصفحة الأولى كلها حوار مع روبرت ميردوخ حول هذه الصفقة ، ومن ضمن ما قاله :

لكى نبقى فى المقدمة فى عالم الطباعة كان يجب علينا أن نشترى أحدث التكنولوجيا ولم يكن ذلك رخيصًا ، لكن المملكة المتحدة تملك أعظم مؤسسة صحفية فى العالم ويجب أن تظل كذلك . وقال أيضًا قوة وجبروت الجرائد فى إنجلترا تدهشنى ، وأعتقد أنها ستستمر فى الانتعاش ، ويجب أن نذكر أن الحديث لا يتناول الطباعة والصحافة فقط ، بل مجالات الإعلام الأخرى .

وكتبت التايمز أيضا : ثورة « قوس قزح » عن التحول من الأبيض والأسود إلى الألوان فى الطباعة .

وأنه سيحدث ذلك بمساعدة ٢٤ ماكينة طباعة بالألوان كانت ضمن الصفقة ، ويقول المسئولون فى التايمز إن التحول إلى الألوان سيصدم القراء بعض الشيء لكنهم سيتعودون عليها بمرور الوقت ، بالإضافة إلى أن الطباعة بالألوان ستجذب المعلنين مما سيزيد من دخل الجريدة .

والجدير بالذكر أن كثيرًا من الجرائد الإنجليزية بدأت تدخل الطباعة بالألوان ومنها الصن والنيوز أوف ذى ورلد ، لكن الأغلبية تقول : إن الألوان لم تعد عامل الجذب الأول لأن جرائد كثيرة تطبع بها ، والأكثر أهمية أن تكون المانشيتات مثيرة حتى يكون توزيع الجريدة عاليًا .

■ **وهناك مقولة شائعة تقول** : الجريدة السيئة تظل سيئة حتى لو أدخلت الألوان !

الصحافة كما عرفها الأوروبيون الأوائل هى **الأدب العاجل** .

وكانت هي كذلك فى بداية نشأتها حيث اللغة هى للتخاطب أو للآداب قبل أن تكون لغة صحافة .

إنهم ذهبوا إلى أكثر من ذلك أطلقوا عليها أدب غير خالد ، حيث القارئ يلقى بصحيفته بعد الانتهاء من قراءتها ولا يحتفظ بها مثل الكتاب .

وإذا كانت مهنة الصحافة هى سرد الأخبار ونشرها وبثها عبر العالم كله ، فإن المهمة الجديدة بجانب السرد هى التعليق والتحليل والتفسير .

من هنا جاءت عملية الإخراج الصحفى ، لكى تكتمل العملية الصحفية .

إن الإخراج الصحفى ليس معناه وضع الخبر فى مكان ما من صفحة ما ، بقدر ما هو كيف يكتب هذا الخبر ، وما هو عنوانه وما هو عدد سطوره ، وكيف ستعرض هذه العناوين ؟ وفى أى حجم وفى أى مساحة سوف ينشر ، وأين مكانه بالتحديد فى الصفحة ، بل وأى صفحة أيضًا ؟ .

إن كل ذلك تحدده قيمة الخبر ..

إذن فإن عملية الإخراج متداخلة مسئول عنها رئيس التحرير أو محرر الصفحة أو المخرج .. أو كل هؤلاء مجتمعون وهذه هى الحقيقة .

إن نشر الخبر وتحديد « موضعه فى الجورنال » هو فى حد ذاته رأى ...

هناك الخبر الكبير ، والخبر الصغير ، والخبر البطىء والخبر الساخن ، والخبر البارد ، قد يكون الخبر الكبير فى مساحة لا تزيد عن عشرة سطور وقد يكون الخبر الصغير فى مساحة عمود كامل من الجورنال .

سمير صبحى

القاهرة – جريدة الأهرام عام ١٩٩٤